

# الحديثة

----- Lecture 3 -----

## نشوء العمارة الحديثة

The development of modern architecture

### عناوين رئيسية:

نشوء فكر العمارة الحديثة في القرن التاسع عشر

أولاً: الحداثة مفهومها وتطورها

- المفهوم المطلق لمصطلح "الحداثة" : Modernism

- فلسفة الحداثة " ومضمونها :

- تطور الحداثة في المجتمع الغربي:

ثانياً: الحداثة في الفكر المعماري وسمائتها العامة

أ - مسببات الحداثة المعمارية الغربية وعوامل تطورها:

- دور المواد الجديدة والتطور التكنولوجي في ظهور العمارة الحديثة :

- تطور الحركة الفنية ومذاهيمها

- الظروف السياسية:

- جوهر مفهوم "الحداثة" ومركزية الذات الإنسانية

- التغيرات في النظام الاجتماعي:

ب - الحداثة المعمارية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين :

ثالثاً: بعض التوضيحات الهمامة على هامش الفقرات السابقة (الللاطاع فقط) :

## نشوء فكر العمارة الحديثة في القرن التاسع عشر

شهد الغرب تحولات ثورية هامة تبلورت بشكل واضح بدءاً من القرن الثامن عشر، فشملت المجتمع الغربي بكافة مجالاته الفكرية والفلسفية والاقتصادية والثقافية بما فيها العمارة التي تأثرت بشكل مباشر بمجمل هذه التغيرات فترجمت إلى تغيير جذري في الفكر المعماري وتطبيقاته المادية، واتسمت بكونها أفكاراً

متبردة على الماضي، مبتعدة عنه شكلاً ومضموناً، وقد ساهمت عوامل عدّة في تكريس هذا التغيير وبلورته الأمر الذي مهد لنشوء تيارات معمارية جديدة ومتعددة كان لها الأثر الكبير في الحركة المعمارية العالمية، وفي نشوء أولى بنور العالمية في العمارة أو ما يسمى بالعولمة التي تشكّل الأساس الرئيسي والأهم في تغيير مسار الحركة المعمارية العالمية والعربيّة ضمناً.

تعددت الآراء التي تناولت تفسير الحداثة فلسفة وفكراً، وكيفية ربطها بالفكر المعماري وما نتج عنه من أساليب واتجاهات تطبيقية، كما عكف المنظرون على استقراء الحداثة بمفهومها المعماري والوقوف على مراحل تطورها، والمسارات التي أثّرت في نشوئها، إضافة إلى الاستقراء الضمفي للآلية الفكرية لانتاجها المعماري التي انعكست على المنتج في اتجاهات وتيارات مختلفة شكلت قاعدة أساسية لمجمل الحركات المعمارية التي تلتها.

### اولاً : الحداثة مفهومها وتطورها Modernism

ترتبط العمارة بشكل عام بالتحولات القائمة في المجتمعات التي تنشأ فيها، فتتأثر بفکرها القائم بكافة أشكاله و مجالاته، لذلك لابد من التطرق إلى المفهوم العام للحداثة في المجتمع وكيفية انعكاسها في المجال المعماري.

#### (1) المفهوم المطلق لمصطلح "الحداثة": Modernism:

- تشمل "الحداثة Modernism" بمفهومها المطلق مجموعة من التغيرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي بدأت في أوروبا في أواخر القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر،
- حمل المفهوم المطلق بمضمونه سمة الانقطاع عن الماضي والتخلّي عن الثوابت والأنماط التقليدية السائدة بكافة مجالاتها الاجتماعية والفنية والسياسية والدينية<sup>1</sup> مُشكلاً بذلك تصوّراً جديداً للحياة ووعياً مختلفاً بمتغيراتها ومستجداتها.
- أصبحت "الحداثة" نمطاً حضارياً خاصاً وحالةً ثقافيةً وفكريّة تعكس التوافق بين تطور العصر وضروريات المجتمع وحاجاته،<sup>2</sup> فاستخدمت في عدة مجالات من المواضيع والأدبيات المتعلقة بالفكرة والإبداع فكان لها حضور واسع ومؤثراً ثم ما لبثت أن ظهرت أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية، تم وسمها بتعريف متعدد، فقد

<sup>1</sup> ويليام راي蒙د، 1999- عالم المعرفة- طرائق الحداثة د المتوامين الجد، ترجمة عبد القادر فاروق، العدد 246 حزيران، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،

<sup>2</sup> أصبحت "الحداثة" حالة وظاهرة، تمثلت في أبسط مفاهيمها بالتنسيق بين تطور العصر والضرورة وال الحاجة كما تميزت بسمة التطور والتقدّم المستمر.

تعريفها بودريارد Jean Baudrillard<sup>3</sup> بأنها مفهومٌ متعددٌ في مجالاته ونظامٌ حضاريٌ يأخذ أنيماطاً جغرافيةً ورمزيّةً متنوعةً في أشكالها ومضمونها بل هي منطق للتفكير تمثل في ثورة للعقل، دعت إلى التحرر الكلي في المجتمع والثقافة والحضارة والترااث، ممثلاً بالرفض الواضح للماضي الحضاري.<sup>4</sup>

## 2) فلسفة الحداثة " ومضمونها:

الحقت "الحداثة" تارة بفكرة رينيه ديكارت R.Descartes<sup>5</sup> وتارة بعصر التنوير، أما نشأتها فلسفياً فقد ارتبطت لدى العديد من المفكرين بمبدأ الذاتية،<sup>6</sup> وقد أمكن تحديد قواسم مشتركة لمبدأ الحداثة تتمثل في ثلاثة توجهات أساسية هامة :

1. الأول على إعلاء شأن المعرفة العقلانية والعقل وتحريره تحريراً مطلقاً.
  2. أما الثاني فيقوم على الذاتية وإعلاء شأن الذات الإنسانية والتأكيد على مرجعيتها ومركزيتها وفعاليتها وحرفيتها وشفافيتها باعتبارها مركز الكون كما حللها مارتن هيدنغر<sup>7</sup>.
  3. في حين أن الثالث يقوم على تكريس الأهمية الوضعية التكنولوجية والأداتية.

### (3) تطور الحداثة في المجتمع الغربي:

- تطورت الفلسفة الأوروبية لتصبح حادة في منطق الفكر، وارتبطت مبادئها الأساسية بالاتجاهات الفلسفية المعاصرة.
  - ما لبث أن أحدث ظهورها ثورة راديكالية جذرية في شتى المجالات كالآداب والفنون وفي المجالات السياسية والاقتصادية والديمقراطية وحقوق الإنسان، مؤكدة على مبدأ اعتماد العقلانية والحرية والعدل السياسي والاجتماعي، إضافة إلى أهمية ظهور

<sup>3</sup> نظر ثقافي وفلسفه فرنسي (1929 - 2007) محل سياسى، وعالم اجتماع، تصنف أعماله بشكل أساسى ضمن مدرسة ما بعد الحديثة وما بعد النونية

<sup>4</sup> وصف بعض الباحثين الغربيين الحادثة بأنها "زلة حضارية عنيفة ، وانقلاب ثقافي شامل ، جعلت الإنسان الغربي يشك في حضارته باكملها ، ويرفض حتى أرسخ معقداته الموروثة" تتج عنها تحرير العقل تحريراً مطقاً قامت بشرع الحق في اكتشاف كل شيء واختلاله و التعامل بجرأة مع معالجة الموضوعات المحظورة حدها آلان تورين Alain Touraine في مقالته (الأبيولوجية والحداثة) بأن "فكرة الحادثة تُحيل في قلب المجتمع العلم محلَّ الدين، ترکة المعقدات الدينية تتمل في داخل الحياة الخاصة على أفضل وجه" فركائز الحادثة بحسب بويدارد هاركيرزتين أساسياتين العقلانية والانجلز المعرفي(انظر الحادثة" مفهومها - نسائها - روادها" ، مسعد محمد زيد ، دكتوراه في الأدب الحديث والنقد ، جامعة الخرطوم )

<sup>5</sup> فيلسوف فرنسي ورياضي وعالم (1596-1650) يعتبر من مؤسسي الفلسفة الحديثة ومؤسس الرياضيات الحديثة ومن أغرب العلماء نتاجاً في العصور أحد المفكرين الأساسيين ومتاليح فهم الثورة العلمية والحضارة الحديثة في الوقت الحالي.

<sup>6</sup> الألّهـا "ريتشارد رورتي" Richard Rorty (فيلسوف أمريكي معاصر ولد عام 1931) يفكـر رـينيه ديكارت (R.Descartes) في القرآن السادس والسابع عشر الميلاديين، وربطـها "يورـغان هـابـرمـاس Jürgen Habermas" (فـيلـسوف أـلمـانـيـاـ الأول وـرـانـدـ الخطـابـ السياسيـ النـقـيـ فيـ الـحـيـةـ الـفـلـسـفـيـ الـأـلـمـانـيـةـ الـمـعـاصـرـةـ (1929)). بـعـضـ الـأـنـوـارـ فـيـ أوـاسـطـ الـقـرنـ الثـلـثـانـ عـشـرـ، وـاعـتـبـرـهـاـ رـانـولـدـ توـينـيـ Arnald J. Toynbee (مـؤـرـخـ انـكـلـيزـيـ 1889-1975ـ أـحـدـ وأـهـمـ مـؤـرـخـ بـحـثـ فـيـ مـسـالـةـ الـحـضـارـاتـ بـشـكـ مـُـصـيـلـ وـشـامـلـ،ـ،ـ أـهـمـ أـعـمـالـهـ مـوسـوعـةـ "ـدـرـاسـةـ لـلـتـارـيخـ"ـ أـنـهـاـ بـدـأـتـ عـلـمـ 1875ـ،ـ كـمـ حـدـدـ بـعـضـهـمـ الـآـخـرـ أـنـ تـارـيخـ مـيـلـادـهـاـ فـيـ النـصـفـ الـأـوـلـ مـنـ الـقـرنـ العـشـرـ

<sup>7</sup> فيلسوف الماتي (1889 - 1976)، تميز بتأثیره الكبير على المدارس الفلسفية في القرن العشرين أهلهما: الوجودية ، الفكيرية ، ما بعد الحداثة . و تعتبر أهم إنجازاته اعادة توجيه الفلسفة الغربية بعدا عن الأسئلة الغبية (المتافق-نقمة) و الماورائين

مفهوم الحق الطبيعي في القرن السابع عشر لتوomas Hobbes<sup>8</sup>, الذي يكرس حق الإنسان الطبيعي وحريته في الرأي والتملك والحركة، كما ظهرت أيضاً في الدين من خلال الدعوة إلى الانفصال عن الكنيسة وقيام الإصلاح الديني.

- واكب ظهور "الحداثة" أحداث تاريخية هامة كالاكتشافات الجغرافية.

#### ملاحظة هامة :

ما لبنت أن انتشرت الحداثة ونضجت في ثلثين القرن العشرين وانعكست في اتخاذ الدراسات منحٌ واقعياً منطقياً وأسلوباً تحليلياً استقرائياً بعيداً عن "الرومانسية"، لتبدأ بعد ذلك حقبة حديثة أخرى في النصف الثاني من القرن العشرين، اصطلاح على تسميتها مرحلة "ما بعد الحداثة" postmodern<sup>9</sup>.

#### ثانياً الحداثة في الفكر المعماري وسماتها العامة

- انعكست الحداثة الفكرية بشكل واضح في المجال المعماري تجلت بالنقاط التالية :
    1. أفرزت حداثة منطق تناول مفهومها العام وأنماط تكوينها، مسببة بذلك انقلابات هامة في التصميم.
    2. تجلت في تحديد جدلية تكوين الفراغ وفلسفته وأسلوب معالجته بنوعيه الداخلي والخارجي.
    3. بدأت مفاهيم جديدة جمالية بالظهور شملت المعماريين بعد أن تأثر بها الفنانون فأفرزت فكراً معمارياً مختلفاً تميز بلغة معمارية جديدة في صياغة الفراغ مما كان لها الأثر في تغيير مسار الحركة المعمارية الحديثة .
- ويمكن القول بأن "الحداثة" في المجالين المعماري والعمري قد بدأت مع تأثيرات الثورة الصناعية في ما بين أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر.

#### أ- مسببات الحداثة المعمارية الغربية وعوامل تطورها:

يمكن تحديد مجموعة من العوامل والمسببات التي كان لها دور فاعل في نشوء وتكريس عمارة الحداثة أهمها:

<sup>8</sup> عالم اجتماع بريطاني ( 1588-1679 )

<sup>9</sup> شهدت الفترة بين عام 1910 وعام 1950 ذروة نشاط الحداثة، لتبدأ بعد ذلك حقبة حديثة أخرى اصطلاح على تسميتها "ما بعد الحداثة" post modern ، والتي رفض البعض اعتبارها مرحلة لاحقة من الحداثة ووصفها بأنها ظاهرة ثمانينية ارتبطت بالمعلوماتية والاتصالات .

## 1 - دور المواد الجديدة والتطور التكنولوجي في ظهور العمارة الحديثة :

أثرت الثورة العلمية والتكنولوجية والآلة والمواد الحديثة كالحديد بأنواعه والزجاج والبيتون المسلح وتقنيات جديدة في الإنشاء على تكوين المنتج المعماري، إذ تم استخدامها وفق إمكانياتها المطورة في تصاميم جديدة تحمل سمة العصر وتمثيلها مجالات إنشائية بأبعاد وفراغات كبيرة.

## 2- تطور الحركة الفنية ومذاهتها:

سمح توجه المجتمع نحو العلمانية إلى إحداث تغيير في طرق التفكير انعكس بدوره على الاهتمام بالتحليل والاختراعات والعلوم التطبيقية العلمية دون الفنية منها، الأمر الذي أفسد الذوق الفني العام فظهرت اتجاهات جديدة ومحاولات جريئة وغير مألوفة في المذاهب الفنية كرد فعل على ذلك كالمستقبلية Futurism والتكتيعية cubism والتعبيرية Expressionism، والدادائية Dadaism، والبنائية Constructivism، والسريالية Surrealism، والفوضوية Anarchism، وحركات أخرى، كان لها جميعاً الأثر في طرحها لروح ثورية جديدة في الفن، انعكست بدورها على رؤية جديدة في العمارة.

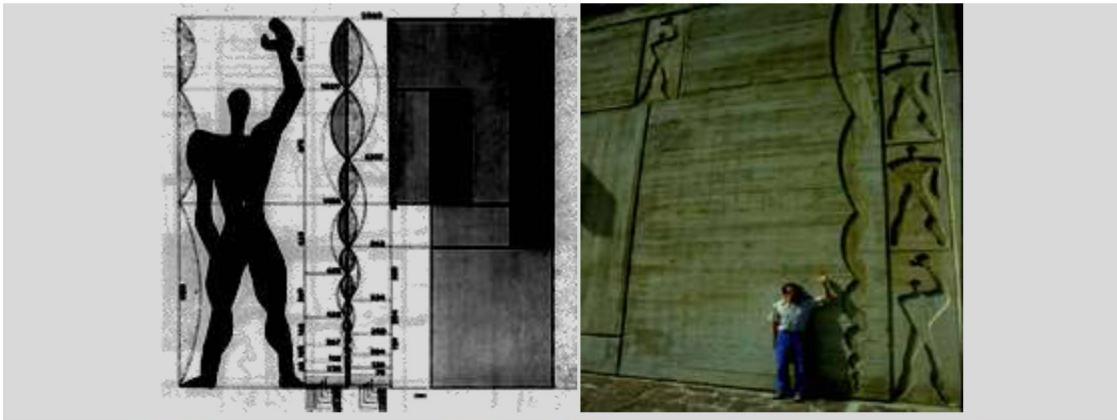
## 3- الظروف السياسية:

- شكل العامل السياسي دوراً مهما ورئيسياً في تحديد مسار الحركة المعمارية بشكل عام في كافة مراحلها، فقد ظهرت آثاره فيما خلفته القرارات السياسية من حروب وتغيرات في المجتمع بكافة عوامله الاقتصادية والاجتماعية والإيديولوجية التي انعكست إلى تغير في الفكر المعماري .
- بعد الحرب العالمية الأولى ثم الثانية ظهرت مشاكل خطيرة وملحة نتيجة تفاقم وتعاظم أزمة السكن والبطالة والتمزق الاجتماعي .
- ما لبثت أن تولدت نتيجة ذلك الحاجة إلى إيجاد عمارة تتسم بالسرعة في الإنتاج والوفرة في المواد والبساطة في التشكيل لتأمين الحل المناسب لأزمة السكن الطارئة، تجلت بوضوح في انتشار العمارة الوظيفية الصرفية واعتمادها في الإنشاء على المنشآت المسبقة الصنع.
- مهد ذلك الطريق إلى نشوء تيارات واتجاهات معمارية تتسم بالتكرار تغلب عليها النفعية الخالصة وتنعدم فيها الجمالية.

## 4- جوهر مفهوم "الحداثة" ومركزية الذات الإنسانية:

ولدت فكرة الحداثة كما رأينا - ممثلة بمبدأ إعلاء الإنسان وجعله محوراً وهدفاً أساسياً وانعكاساً واضحاً في الفكر التصميمي المعماري، مما أدى إلى اختلاف في الفكر المعماري السائد وابتعاده عن التكوينات المبالغ

في حجومها واهتمامه بالمقاييس الإنساني وانعكاسه على المتنقي معتبراً الإنسان كياناً مستقلاً، من الواجب تحقيق السعادة لحياته عن طريق مواءمة ما يحيط به مقاييس جسمه الفعلية.



وضع لوکوربوزیه نظریة المقاييس Le Modular التي عيرتها عن آراءه في النسب وملامتها للتصميم بما يتفق مع راحة الإنسان المستخدم لهذه العناصر وفهما ابتكر لوکوربوزیه أسلوباً جديداً للقياس مشتقاً لما عُرف في العصور الكلاسيكية بالقطاع الذهبي Golden Section ولذلك وضع لوکوربوزیه نسبة مقرنة بمقاس جسم الإنسان

## 5- التغيرات في النظام الاجتماعي :

- كان للفكر الاجتماعي تأثيرٌ واضحٌ في فكر عمارة العدالة وفي أهدافها الاجتماعية وتفاعلها مع معطيات اقتصادية واجتماعية جديدة، الأمر الذي جعل العمارة مرتبطةً ارتباطاً عضوياً وثيقاً بفكرو حاجات المجتمع الذي تعاصره،
- كان للتغيرات الاجتماعية الجذرية أثراً في حدوث نقلات leaps في الفكر انعكست بدورها إلى نقلات في العمارة، ارتبطت كل منها بنقلة معرفية وتقنية إلى أن وصلت الحركة المعمارية إلى شكلها الحالي. كما أوضحها الجادري في كتابه في "سببية وجدلية العمارة 2006"،
- كان لهذه النقلات أسبابها وعواملها التي تؤدي إلى تغير جذري في أيديولوجية المجتمع بما في ذلك مختلف العلاقات الاجتماعية والفكرية، وتعزى هذه التغيرات إلى مجموعة من العوامل :
  - كالانتقال من المجتمع الزراعي إلى الصناعي،
  - وحرية التفرد والتي تُبني على حرية الفرد،
  - والانتقال من مجتمع ينكر أهمية الحرفة إلى مجتمع يقيم الحرفة ويمنح للطاقة في العمل قيمتها ومقامها الاجتماعي المتميز
  - كما يشكل الانتقال من المعرفة التي تُبني على الوجي والإلهام إلى المعرفة التي تبني على السبية، واعتماد البحث الموضوعي لمختلف الظواهر، أيضاً تأثيره في إحداث هذه التغيرات في المجتمع الغربي.

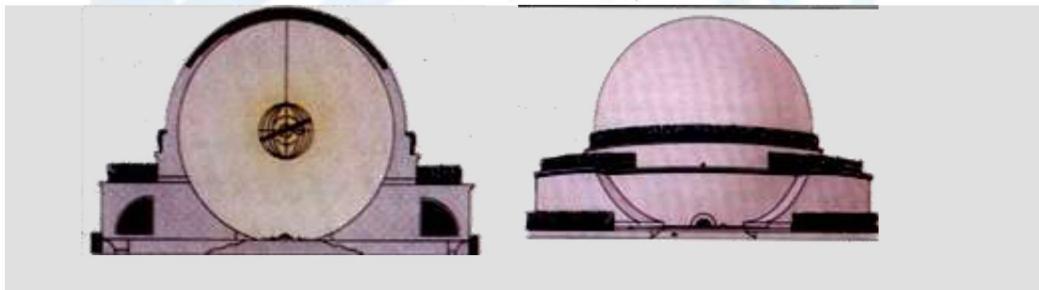
- تجدر الإشارة إلى أن بعض منظري الحداثة كسفريد غيديون <sup>10</sup> sigfried giedion يؤكد أن حقائق ثابتة أثرت في نشوء عمارة الحداثة كالمكانيات الحديثة في البناء، والعناصر الإنسانية المصنعة بالجملة، والتغيرات في النظام الاجتماعي.<sup>11</sup>

#### ب-- الحداثة المعمارية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين:

##### أ. الحداثة المعمارية في نهاية القرن 18:

بدأت في نهاية القرن الثامن عشر ثورة معمارية فانعكس ذلك في صياغة التكوين في المستويين الأفقي والشعاعي الذي اتسم بشكل عام بالنقطات الهامة التالية:

- استخدام أشكال هندسية أساسية بسيطة كالكرة والأسطوانة ، أشكال مختلفة عما سبقه.
- ترفض المحاكاة.
- تنسم بالبساطة وتبتعد عن التكلف والمغالاة بالزخرفة .
- متزنة ومنطقية وعقلانية تتلاءم مع مفاهيم ومتطلبات المرحلة القادمة.



مشروع مقبرة تذكارية لنيوتن 1784

استخدام أشكال هندسية أساسية بسيطة كالكرة والأسطوانة، المعماري بوليه Boullee

وما لبث أن بدأ استعمال الجسور والأعمدة وتطور ليصبح إنشاءً هيكلياً تتصل فيه أجزاء المبنى وتعمل كوحدة في مقاومة القوى والجهود، فأفرز نوعين أساسيين من الفراغات ذات المعالجات الإنسانية المختلفة:

- الحلول الإنسانية العمودية المتعددة الأدوار: واستعمال الفولاذ والحديد في منشآت هامة كبرج إيفل Gustave Eiffel ،<sup>12</sup> وناظحات السحاب .

<sup>10</sup> مؤرخ سويسري ونقد للهندسة المعمارية. space,time and Architecture. 1888 1968 أشهر كتبه  
<sup>11</sup> Giedion,Siegfried,space,time and Architecture. Cambridge ,harverd university 1944p41

<sup>12</sup> تبقى القيمة المعمارية لهذا البرج مدار نقاش وجدل واسعين ففي حين انتقد كثير من معاصريه هذا " .. هذا المنشأ المصنوع من صفائح حديبية مثبتة بمسامير ضخمة، كما وصف البرج معارضيه؛ انتهى بعض المهندسين والمسؤولين في الإسراع عن تعاطفهم وموازرتهم لفكرة بناء هذا " الصرح العمظيم " وتجلت قيمة وأهمية المحتوى الداخلي لعملة " برج إيفل " ، مما جعل من هيئة البرج الفنية لتكون رمزاً جديداً للمدينة الطامحة لأن تكون عاصمة الفنون المعاصرة وحاضنتها !"

بـ- الحلول الإنسانية الأفقية: التي سمحت باستخدام مجالات طويلة في الإنشاء وبأشكال إبداعية هندسية جديدة كجسر بروكلين Brooklyn Bridge لجون روبلينك John Roebling والمعرض الدولي في لندن المعروف بالقصر البلوري Crystal Palace<sup>13</sup> لجوزيف باكتسون Joseph Paxton الذي تميز باعتماده طريقة جديدة في الإنتاج ترتكز على تكرار وحدات قياسية محدودة التنوع سهلة الإنتاج وربطها بموجب شبكة قياسية موحدة إضافة إلى بيوت الزجاج ومحطات القطارات.

### ii. في النصف الأول من القرن العشرين:

أما "في النصف الأول من القرن العشرين فقد اختلفت الرؤية المعمارية في القرن العشرين

- تحولت العمارة من كونها مجرد فن تنظيم وترتيب الأشكال ليُصبح لمفهوم الزمن والحركة والتأثير الحسي والإحساس بالفراغ أهمية كبيرة في العملية التصميمية.
- انتقلت بذلك العمارة إلى تكوينِ من نوعٍ جديدٍ يدخل فيه العامل الحسي للمستخدم بشكل أساسي.
- إدخال المعالجات الزجاجية الكبيرة فكرست بذلك أهمية العلاقة بين الفراغ الداخلي والخارجي للتكون.



<sup>13</sup> تم تغطية مساحة الجناح الواسعة والتي أبعادها  $124.5 \times 563$  مترًا خلال مدة زمنية قصيرة جداً لم تعرف البشرية ، وقد ذاك ، على امتداد تاريخاً الطويل، مثلاً لها في سرعة الانجاز والتنفيذ ؛ واعتبر حينها أمراً خيالياً بعيداً عن التصديق ! .



## جامعة المَنارَة

MANARA UNIVERSITY

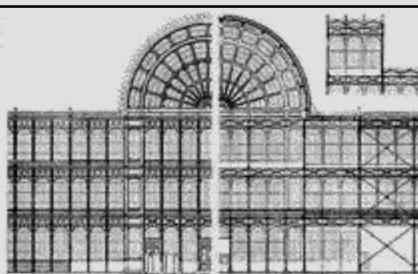
### جسر بروكلين John Roebling 1877- 1868 نيويورك

هو واحد من أقدم الجسور المعلقة في الولايات المتحدة الأمريكية يمتد فوق نهر الشرق بطول (1825 متر) ليصل بين منطقتي مانهاتن وبروكلين بمدينة نيويورك



### برج إيفل -باريس Gustave Eiffel 1887- 1889

يعتبر تنفيذ برج إيفل Eiffel حدثاً تقنياً وإنمائياً بالغ الأهمية . يصل ارتفاعه إلى أكثر من (300 م) يمثل نوعاً من التوظيف العقلاني لثمرة الخبرات الطويلة التي اكتسبها المصمم ولاسيما معارفه الواسعة في علوم تحمل التربة وخصائصها الفيزيائية ، وحساباته الدقيقة لمقدار الضغوط الناجمة عن قوة الرياح في المبني العالى وغير ذلك من العلوم الإنسانية التي برز فيها Gustave Eiffel.



### القصر البلوري - لندن 1851 Joseph Paxton

كان تصميماً وتنفيذ جناح انكلترا حدثاً بنائياً هاماً في معرض لندن الدولي عام 1851 م تم تشييده باعتماد هيكل حديدي مغطى بألواح زجاجية مسبقة الصنع . ودعى الجناح بالقصر البلوري Crystal Palace نظراً لخفة الهيكل الإنسائي فيه وشفافية المواد المستخدمة

MANARA UNIVERSITY

### ثالثاً : بعض التوضيحات الهمامة على هامش الفقرات السابقة(للاطلاع فقط) :

#### - أزمة السكن التي نتجت عن الحرب العالمية :

نشأت أزمة شديدة في المساكن ، أسبابها توقف أعمال البناء طوال سنين الحرب وتقادمها ، وال الحاجة إلى إيجاد مأوى للملايين من اللاجئين والمشردين والمهاجرين ، والعائدين من ميادين القتال . وكانت الحالة في بعض الدول كالنمسا وألمانيا مثلاً قد اضطررت الناس إلى الاقامة في المعسكرات والمباني العسكرية ، وإلى بناء مساكن رخيصة مؤقتة في الحدائق العامة وعلى أراضي الملاعب ، أصبحت تستدعي علاجاً سرياً حاسماً .

ووُقعت على عاتق المعماريين مسؤولية تخطيط الأحياء السكنية وايواء الملايين - وهي مسؤولية جديدة ليس لهم بها سابق خبرة إلا القليل . فبناء بيت أو عمارة أمر يختلف كل الاختلاف عن بناء الآلاف منها وتجميعها في وحدات وأحياء سكنية ويستدعي دراسة المشكلة من أصغر أجزائها ( وهي مكونات البيت الواحد ) إلى أكبرها ( وهي المدينة كلها ). ويشمل هذا دراسة كل أنواع المساكن المعروفة والمستحدثة ، ومعرفة مميزات عيوب كل نوع منها ، كما يشتمل دراسة المدينة ووسائل العيش والسكنى فيها ، ونظام المجتمع ونشاط جماعاته وأفراده.

فإن كان هناك من يعترض بأن بيت الأسرة الواحد لم يتغير ، وأن مطالبـهـ من معيشة وطعام ونوم ونظافة ، الخ - معروفة من قديم ولا تتطلب إلا تعديلات بسيطة، كتوسيتها بالكهرباء والماء الجاري ووسائل الصرف ، مما لا يؤثر على تصميـمهـ أو على شكلـهاـ ، فهو يتجاهـلـ الناحـيـةـ الـهـامـةـ في الإسكان . فالبيوت الحديثة تختلف عن مثيلاتها القديمة لأسباب تتعلق بالناس كمجتمع :

أ. فالخطـيطـ والإـسـكـانـ مشـكـلةـ سـيـاسـيـةـ ، يـتـوقـفـ النـجـاحـ فـيـهـ عـلـىـ مـدـىـ النـجـاحـ فـيـ إـيـجادـ اـتـزـانـ بـيـنـ حرـيـةـ الفـرـدـ وـحـقـوقـهـ وـبـيـنـ مـسـؤـولـيـاتـهـ أـمـامـ الـمـجـتمـعـ ، أيـ يـتـوقـفـ عـلـىـ مـدـىـ إـمـكـانـ تحـوـيلـ كـتـلـةـ غيرـ مـتـجـانـسـةـ وـلـاـ مـتـمـاسـكـةـ مـنـ النـاسـ إـلـىـ مـجـمـوعـةـ مـتـكـامـلـةـ وـمـتـسـانـدـةـ وـمـنـتـجـةـ .

بـ. وهـيـ مشـكـلةـ اـجـتـمـاعـيـةـ ، يـحـاـولـ فـيـهـ المـعـارـمـيـونـ تـهـيـيـةـ بـيـئـةـ صـالـحةـ تـلـيقـ بـالـإـنـسـانـ ، كـمـاـ يـحـاـولـونـ تـعـوـيـضـهـمـ عـنـ الـقـيـمـ الـكـثـيرـةـ الـتـيـ فـقـدـهـاـ وـكـانـتـ لـهـ فـيـ الـأـرـمـانـ السـابـقـةـ ، مـثـلـ مـسـأـلـةـ الـقـيـاسـ الـإـنـسـانـيـ الـذـيـ فـقـدـ بـسـبـبـ تـضـخمـ الـمـدـيـنـةـ ، وـالـأـمـنـ فـيـ الـحـرـكـةـ وـالـتـنـقـلـ بـعـدـ أـنـ تـعـقـدـتـ حـرـكـةـ الـمـواـصـلـاتـ وـأـمـتـلـاتـ الـشـوـانـ بـالـمـرـكـبـاتـ ، وـانـعـزـالـ الـفـرـدـ عـنـ بـاـتـيـ الـمـوـاطـنـيـنـ حـتـىـ أـصـبـحـ غـرـيـباـ تـاهـاـ وـسـطـ الـمـلـاـيـنـ ، وـغـيرـ ذـلـكـ مـنـ الـمـشـاكـلـ .

جـ- وهـيـ مشـكـلةـ اـقـتـصـاديـةـ ، تـخـتـلـفـ مـنـ مشـاـكـلـ الـفـقـرـ الـأـخـرـىـ - كـفـلـةـ الطـعـامـ وـالـكـسـاءـ وـغـيرـهـ مـنـ الـضـرـورـيـاتـ - فـيـ أـنـ الـمـسـكـنـ عـقـارـ ثـابـتـ لـاـ يـمـكـنـ نـقـلـهـ ، وـأـنـ ثـمـنـهـ الـأـسـامـيـ مـرـتفـعـ حـتـىـ لـأـصـفـرـ أـنـوـاعـهـ . مـاـ يـضـطـرـ الـأـغـلـيـةـ مـنـ النـاسـ إـلـىـ الإـيجـارـ بـدـلـاـ مـنـ الـشـراءـ . وـبـسـبـبـ هـذـاـ اـضـطـرـرـتـ الـحـرـكـاتـ بـعـدـ الـحـربـ إـلـىـ تـموـيلـ

المشاريع بنفسها - رغم الأزمات الاقتصادية واحتلال الميزانيات - ولم تعد المسألة مسألة ربح مادي كما كان الحال في القرن التاسع عشر أو في المشاريع الاستغلالية ، وإنما أصبحت مسؤولية الدولة في توفير المسakens اللائقة للمواطنين .

د- وهي مشكلة معمارية تطلب من المعماريين دراستها ابتداء من المسكن الاقتصادي الصغير ال العمارة السكنية الضخمة ، ثم دراسة المبني اللازم لكمال الحي السكني ، ثم تكوين مجموعات معمارية من كل المبني ومن الفراغات والمساحات المكشوفة الالزامه لها والمكملة للمشروع ، وتنسيقها في وحدة واحدة متماسكة. وقد توصل المعماريين الى تحقيق ذلك في الثلاثينيات ، وتبثورت أفكارهم في مشاريع تخطيطية اتضحت منها صورة مدينة المستقبل (على الورق على الاقل) ، ووضعت نظريات كثيرة في انكلترة وفرنسا وألمانيا ، تغيرت مفهومية المدينة وشكلها .

ومن أهم المواقع التي صاحبت الاسكان مسألة التجهيز ، وقد شجع على تجربة هذا الاسلوب في البناء الرغبة في الاسراع في العمل والاقتصاد في المواد والتوفير في اليدى العاملة وقد أجريت تجارب كثيرة ، ولكن القليل منها ما ثبت في ذلك الوقت وفي حالة تساوى المزايا فضل الناس التمسك بالقديم كما أن أغلب الدول فضل الاخذ بالطرق التقليدية في البناء لتشغيل العاطلين .

#### - الحاجة الى مبانٍ أخرى من انواع جديدة :

وفي سبيل إعادة تعمير المدن وإقامة صناعات جديدة لتدعم اقتصاد الدول وعلى قياس كبير يتلائم مع التطور الصناعي والاقتصادي الحديث ، ومع استمرار نمو المدن وتكتسها بالمتلدين ، صارت الحاجة ماسة الى المبني الكثيرة الأخرى، غير المسakens التي لا تقوم المدينة الا بها. وهذا تشمل كل أنواع المبني العامة والخاصة والصناعية والتجارية والتعليمية والثقافية ومباني العبادة والعنابة بالروح والجسم ، ومباني المواصلات والخدمات العامة والتسلية والترفيه، الى آخره. والكثير منه هذه المبني لم يكن معروفاً من قبل حتى ما كان معروفاً منها ويوجد منه أمثلة كثيرة أصبح في حاجة الى إعادة النظر في وظائفه وأغراضه وطرق تصميمه ليواجه الاحتياجات الحديثة على نطاق وطبي .

وقد وجد المعماريون في المبني الصناعية مجالاً خصباً يضعون فيه نظرياتهم موضع التنفيذ ، ولأول مرة تعتبر المصانع ومحطات توليد الكهرباء وغيرها أعمالاً معمارية بعد ان كان يعهد بها القرن التاسع عشر الى الإنسائين وحدهم .

وأهم مظاهر العمارة الصناعية هو ازديادها في الارتفاع والأحجام لدرجة لم يعهد لها المعماريون ، واتساعها في المساحات حتى غطت أراضي شاسعة تقارب في مساحتها بلدان بأكملها ، كما أن العمليات الصناعية المختلفة كانت تستدعي وجود أجسام وأشكال غريبة ، وجد فيها المعماري عاملاً جديداً منعشًا وفرصة للتغيير ، ومجالاً لعمل تكوينات معمارية لا تتاح له في غيرها في المباني ، وتعجز الطرز الكلاسيكية عن الوصول إليها ولا يمكن تطبيقها فيها .

#### - إقامة أساس جديد للمجتمع :

تغيرت نظرة الناس إلى الحياة والمجتمع ، ونشأت عن الحرب رغبة عامة في الوصول إلى مستوى اجتماعي عالي ، خصوصاً من جانب الذين لم يمثل هذا المستوى قبل الحرب – وهم الأغلبية . فغيرت دول كثيرة نظمها السياسية وشرعت في وضع دساتير جديدة .

وكان التغيير الاجتماعي الهائل قد بدأ في القرن التاسع عشر ، ثم ازدادت سرعته بعد الحرب العالمية الأولى بطريقة مخيفة : تغيرت علاقات الأفراد بالمجموعة ، وتفككت روابط الأسرة ، وخرجت النساء للعمل في المكاتب والمصانع ، فتحررن من الاعتماد الاقتصادي على الرجال وازدادت حركات العمال قوة ، وأصبح الشباب حائراً ثائراً لا يعرف له استقرار . وكانت نظرة واحدة تكفي لتشكيك المرء في وجود أثر لحياة اجتماعية في هذه المدن المتضخمة .

فكان من مظاهر العصر الحديث دخول الحكومات في المجال الاجتماعي للعمارة ، فأخذت تزيل الأحياء القديمة وتشجع المشاريع الجديدة ونزوذ الأحياء بالمنتزهات والنواحي ، ووجدت نظم التامين

الاجتماعي ووفرت الخدمات الثقافية والصحية والرياضية ، واتضح من كل هذا أن على المعماري واجب اجتماعي هام وأن العمارة أكثر من نظريات في التصميم والتكون ، وأكثر من علم بمواد وأساليب في الإنشاء ، اتضح إنها فن اجتماعي ، لا تستوفي المطالب المادية الملموسة فحسب ، وإنما تسمو فوق هذه المطالب المباشرة ، وتتناول أيضاً مواضيع كالدين الفلسفة والفن . ومتى التفت المعماري مثل هذه المواضيع وغيرها فلأنها لما يمكن أن يبحث فيه .

#### • الحالة الاقتصادية :

وصلت الحالة الاقتصادية في أوروبا بعد الحرب إلى درجة من السوء لم تعرفها من قبل . وبعد خمس سنوات من التخريب والاستهلاك في كل المواد الحيوية ، اختلت الميزانيات وانتشرت البطالة بين كل الطبقات وزاد المشاكل تعقيداً رجوع المحاربة من الميا狄ن وهجرة أعداد كبيرة من الناس وفي نفس الوقت شحت الضروريات والكماليات وتضاعفات أسعارها واختفت تماماً من الأسواق وارتفعت تكاليف البناء

وإيجارات المساكن وكانت الأحوال أشد سوءاً في الدول المغلوبة لعدم وجود استقرار داخلي لحين تعدد معاهدات الصلح وتوفير الدساتير وتقرير النظم الداخلية لكم.

فكان يتنازع المعماريين عاملان متناقضان: الحاجة العاجلة إلى البناء والتعمير من جهة ، ومن جهة أخرى الأزمة الاقتصادية وارتفاع الأسعار وقلة مواد البناء .

ومن مآثر العمارة الحديثة إن استطاع معماريوها التغلب على هذه الصعوبات والمساهمة في تعمير المدن وإنهم قاموا بواجبهم خير قيام

Dr. Mirna Nassrah

[mirna.nassrah@gmail.com](mailto:mirna.nassrah@gmail.com)

